

المونسنيور يوحنا رزق

١٨٧٠ - ١٩٤٥

بقلم جرجي ابراهيم نصر

درجت الأمم وتبارت الشعوب المتدنة على تكريم أديانها وعظماؤها
وتواضعها بناة الحضارة الأدبية باقامة الخفلات والإشادة بهم في الكتب
والصحف احياء لذكراهم ، وتشجيعاً للناشئين للنسج على منوالهم وترسم خطاهم .
في الأمس التريب طوى الموت في لبنان صفحة نيرة من صفحات
أعلام الفكر والأدب : وغيب صورة لبنانية جميلة تألت نورها في اوائل
عصر النهضة الفكرية ، ولم يك هذا التبراس المضيء محظوظاً في حياته
ولا في مماته : فلم ينبر قلم لراثته ، ولا فطن مؤرخ الى تخليد أعماله وآثاره
على ما كان به من وطنية متقدة وغيره على النهوض بلبنان الحديث وشيئة
السبل لسعادته ورفاقه ، فرأيت أن أزيح سدول النيان عن تلك الشخصية
الكريمة ، عملاً بواجب مفروض على المواطنين الباقين حيال رجالهم
الغابرين ، عنيت بهذه الصورة الجميلة رجل الله البار المنفصال .

المونسنيور يوحنا رزق

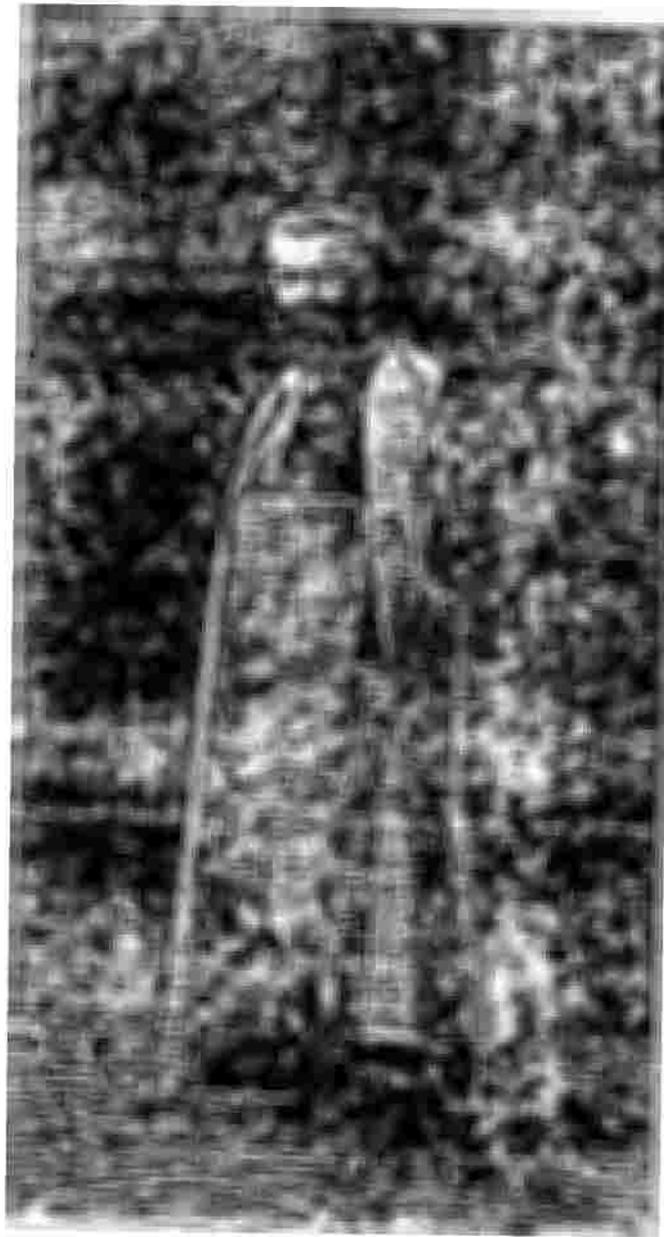
كان رحمه الله كاهناً فاضلاً وأديباً كبيراً وخطيباً مفرها : جمع بين
سعة الاطلاع ، وفلسفة الحياة ، وعمق التفكير ، وبين بلاغة القول وحن الأداء .
كان قبل سيامته كاهناً يُطلق عليه اسم صالح - وكان أبوه المعلم يوسف
صالح رزق (١٨٣١-١٩١٦) ووالدته ملكة مبارك رزق (١٨٤٠-١٩٢٠) .
أبصر النور في جزين في ٣ شباط سنة ١٨٧٠ واقتبل سرّ العباد المقدس
من يد نسيه الخوري مخايل رزق : ثم تلتقى علومه الابتدائية في مدرسة
ماري يوسف جزين التي هي وقف على أسرته ، على يد الخوري يوسف
الطنب ، فظهرت عليه سمة النباهة والذكاء ، وكان من المتجلبين بين أقرانه .
وفي سنة ١٨٩٠ دخل مدرسة مار عيلا هرهرياً على زين الخوري
يوسف آصاف ، وسيم كاهناً من يد المطران بولس سعد ١٨٩٢ .

ثم عاد الى جزيرت فدرس اللاهوت على نخوري يوسف انطرب : ثم علم انصرف والنحو والبيان في مدرستي قرنة شيدان وماري يوسف جزيرت . وفي سنة ١٨٩٨ أوفده المطران بطرس البستاني مرسلًا مارونياً الى المكسيك ليشتغل فيها شؤون الرعيّة . نشخص اني تلك البلاد في أوائل هجرة اللبنانيين . فوقف على أحواض وشهد عزائمهم : وعمل على جمع كلمتهم : ثم انصرف الى درس اللغة الاسبانية فبرع فيها وأجاد حتى أصبح يبرهه وجيزة بخطب فيها كأحد أبنائها الخيدين .

وفي سنة ١٩٠٠ منحه المجمع المقدس لنشر الإيمان ، لقب مرسل رسولي : وسنة ١٩٠٣ نال لقب مونسنيور مع رتبة حبر روماني . وفي سنة ١٩٠٥ اختاره أسقف « شيواوا » في المكسيك المطران « نيقولا بكافيلاس » نائباً عاماً في أبرشيته اللاتينية : فخدمها سبع سنوات ، وتعمت في اللغة اللاتينية . ومن غيرته الرسولية تأسيه ميتاً لأبناء العمال . ومطبعة كاثوليكية كانت تنشر المطبوعات الدينية .

وفي سنة ١٩١٠ نشبت ثورة في المكسيك كان هدفها : نزع الحكم من يد الحاكم « بوفيريو دياز » فأنشأ المونسنيور رزق جريدة باللغة الاسبانية دعاها « مكسيكو » ضمنها مقالات نفيسة : تحدث فيها عن أضرار الثورات في البلاد بأسلوب رفيع اتسم بالحكمة . والحصافة وبعد النظر ، وتناول فيها حضارة العرب وأجادهم المطوية : ولما نجحت الثورة اضطّر الى مغادرة البلاد ، فاسفر الى فرنسا وبقي في باريس ستة أشهر ومنها أبحر الى ايطاليا فنزل في دير الآباء الخلبين الموارنة ثم في دير مار اشعيا للرهبان الأنطونيين : وفي تلك المدة كان يتردد على الكلية الغريغورية ويراجع الحقيق الكنسية . وفي سنة ١٩١٢ عاد الى جزيرت وانصرف الى خدمة النفوس ومساعدة القريب والعطف على الضعيف والكتابة في مختلف الحقول ، ودرس حالة لبنان تمهيداً لإنشاء مشاريع عمرانية إلا أن الحالة الدولية التي اضطرت آنذاك لم تترك له مجالاً لتنفيذ مشاريعه .

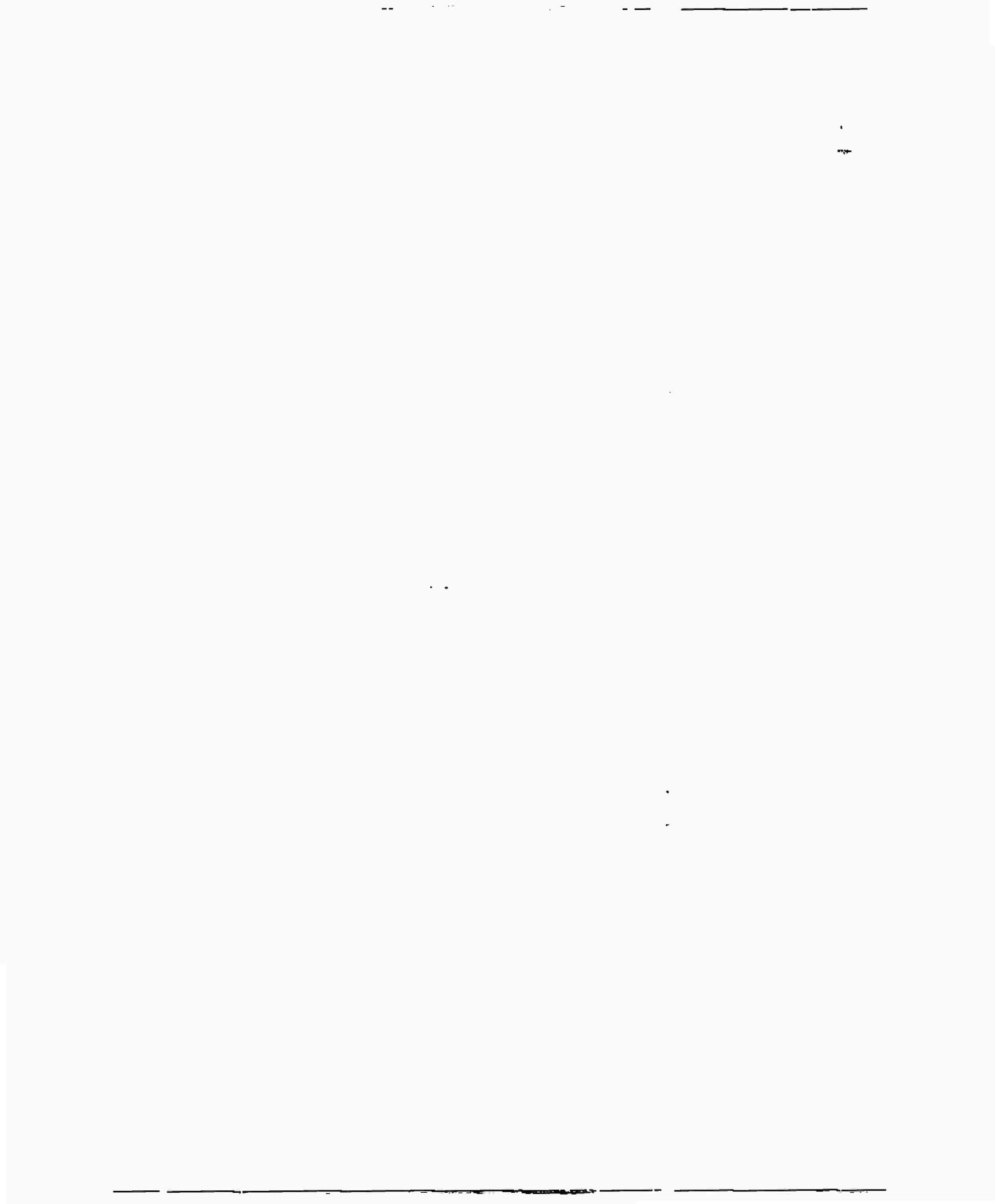
ولما نشبت الحرب الكونية (١٩١٤-١٩١٨) سافر الى باريس وتطوع في مؤسّسة الصليب الأحمر الفرنسي : فبقي طوال مدة الحرب مرشداً روحياً لها ، فأسدى للإنسانية المتألّمة أجل الخدمات ، وعاد الى وطنه لبنان سنة ١٩١٩ بعد أن وضعت الحرب أوزارها : فأقبل على الكتابة تأليفاً وترجمةً ، وعلى تحقيق بعض منجزات عمرانية ومشاريع وطنية ، منها إنشاؤه فندق الشالوف في جزيرت تعزيزاً للسياحة التي كان يرى فيها أوسع الرزق للبنان .



المؤلف يوحنا رزق الجزيني

١٨٧٠ - ١٩٤٥

CV A



وفي ٢ ايار سنة ١٩٢٦ أنشأ في جزين جريدة «الشلال» غايتها الخاصة كانت تنشيط الاصطيات في ربوع لبنان فضلاً عما كان ينشر فيها من الأبحاث القيمة في الأدب والتاريخ والسياسة، فعاشت زهاء سنتين ثم احتجبت عن الظهور.

آثاره الأدبية: ١- الجلام المسيحي: ترجمه من الفرنسية الى العربية ونشره بالطبع سنة ١٩٠٠ بعيداً عن وطنه في المهجر وهذا المؤلف هو الجزء الاول من كتاب للمونسيور اوجانيوس كويله رئيس اساقفة ريمس في فرنسا وقد ذكرته مجلة «المشرق» ٣: ٤٧٥.

٢- الفخانس: كتاب يتضمن كلمات تاريخية وسياسية واجتماعية طبع في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٩٣٣.

٣- تاريخ الحرب الكبرى: الأصل الفرنسي لنيكتور جيرو وقد أشغفه المترجم بملحق لتاريخ الحرب الكبرى في لبنان وقد سرد فيه الحوادث المرثلة التي وقعت في لبنان واشترك فيه مع الترك الطغاة، كثير من اعيان اللبنانيين ووجهاهم يوم احتكروا الآقوات وأجاعوا الشعب وأذلوه: طبع في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٩٣٤.

وأبرز مخطوطة ضد الماسونية تقع في ماتي صفحة. ودون مجموعة من رسائله وتقاريره ومواعظه لا نعرف عن مصيرها شيئاً بعد وفاته، ونشر مقالات كثيرة في مواتيع مختلفة على صفحات الجرائد والمجلات.

اللغات التي كان يجيدها: كان رحمه الله يجيد من اللغات: العربية والفرنسية والأسبانية واللاتينية والايطالية، وكان لإلمامه باللغات الأثر البعيد في تطور تفكيره: واشراق نفسه، فكان حديثه عن الشعوب التي أجاد لغاتها، حديث العالم الخبير بتطور مدينتها وثقافتها ونهضة شعوبها وعاداتها وقوانينها. وطنيته: كان وطنياً حياً يتغنى بمجد لبنان، ويدعو الى المحافظة على استقلاله ورفع كلمته والتمسك بأخلاق قومه وعاداتهم الحميدة، يلتب غيرة على إنشاء المشاريع العمرانية، وتعزيز الثقافة ونشر العلم في أرجاء لبنان حتى يظل موطناً للتكر والرق والإشعاع، كما كان وياً مخلصاً لرجال الدين وأرباب الفضيلة والعلم، وكان بينه وبين الطيب الذكر المرحوم الأبائي لويس عبيد الأنطوني البغداتي، صلات ود صداقة، وقد وصفه بعد مماته بقوله:

« كان معلوماً غيرة وشهامة، متلفعاً بكل ما يعود على الطائفة بالخير،

ولم يقدروهُ قدره إلا بعد وفاته ، عملاً بألاية القائنة : الصديق يعيش مياناً .
وحدث مكرماً ، ويظن قبره مجداً .

وكان جوراً منيباً ، وقوراً ، خفيف الظل ، عفيفاً ، متواضعاً ،
أنيس الخجل ، عذب الحديث ، وكان يحذر الحاكمين من ارتكاب المظالم
والعناية بأمور لبنان وتعمير موارده وضبط ادارته ويدعوهم الى العطف على
الرعية والسهر على راحتها ، والعناية بشؤونها وتخفيض الضرائب ، برسائل
تنطوي على الحكمة وسداد الرأي ، ومن تلك الرسائل التي عثرنا عليها :
رسالتان : الاولى الى انكزنت دي مازيل المفوض السامي للدولة المنتدبة
وقتك : وقد عدد له فيها أعمال كل من أسلافه ، وناشده أن يوجد
الحلول التي توافق كيان لبنان وتأمين رفاهية شعبه وتصغير هيكل الحكومة ،
والرسالة الثانية الى الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية يطالب
منه ان ترصد وزارة الصحة والاسعاف العام في ميزانيتها اعتماداً لسنة
أسرة مجانية لتفراء قضاء جزين ، وبما جاء في هذه الرسالة قوله :

« ان الكاهن الذي لا يهتم بفقراء رعيته ، هو بش الكاهن ، وبشله
الحاكم : ان الحكومة الانكليزية في فلسطين قد جفنت عشرات الكيلومترات
وأنتأت عشرات المصححات والمستشفيات محافظة على الصحة العامة في
بلد كان مقبرة لساكنه ، أما الآن فيفضل هذا التدبير أضحى بلداً
صحياً . فاعطف على انفقراء تكسب قلوب الجميع ، لأن الإكثار من
المؤسسات الصحية في بلد ، هو أكبر دليل على مدينته ورفيقه وأعظم
عجب للشعب بحكومته . »

وبعد أن جاهد جهاداً حسناً في كرم الرب ، أضيف برجفة عصبية
خطيرة لانيته حتى وفاته . فلم تفر له عزيمته ، ولا فارقه حبه للكتابة ولنفع
الناس ، بل كان يستعين على الكتابة بأنسابه وأخصائه ، وعلي عليهم
رسائله : فمن أملى عليهم المؤرخ الأب يوسف أبي نادر الأنطوني الجزيني
الذي عني بأموره الروحية في آخر أيامه ، فوقف على أدوار حياته ،
وتعرف عن كتب ، الى روحه المسيحية وأخلاقه العالية .

وقد لفظ أنفاسه الأخيرة في داره في جزين يوم الثلاثاء ١٩ حزيران
سنة ١٩٤٥ فذهب مأسوفاً على ميراثه وأخلاقه وعلمه وجهاده ، ودفن
بأكرام في مدفن كنيسة ماري يوسف في جزين التي هي وقف أسرته تمنعه
الله برحمته ورضوانه .